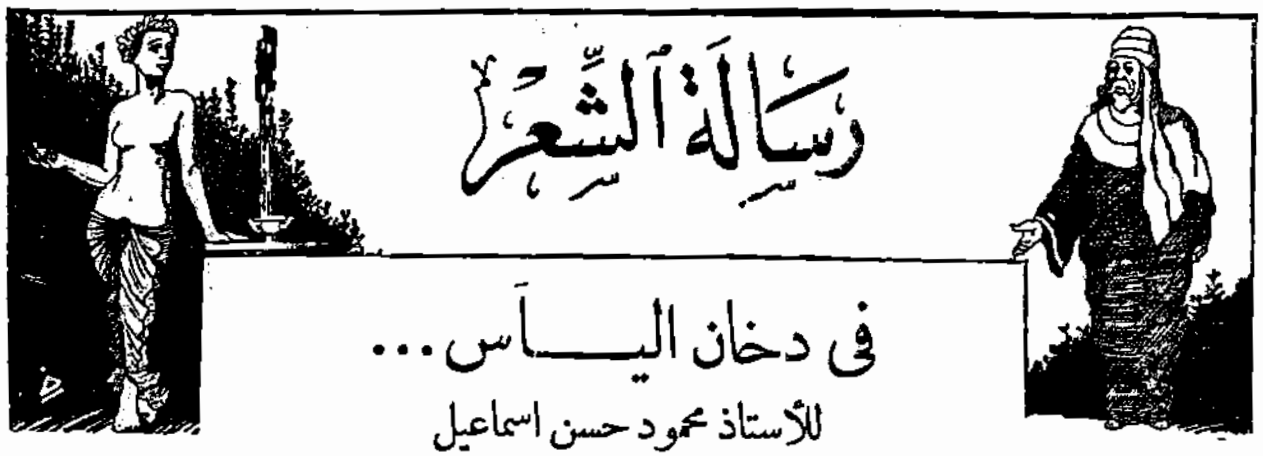

في دخان اليـــأس...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

« يقولون : غن الشعر أبيض هادئاً
وكيف تغنى في الهجير البلابل ؟ »

وَقَيَّـــدَ عُمْرى حُبُّها فى قرَارةٍ ... وَكَيْفَ وَقلبى لا يُفِيقُ مِنَ الأسى !
من الهمِّ لا يُرْجَى لها اليَوْمَ ساحِلُ ... وَنَجْمِى إلى أُفْقِ المَنِيَّاتِ مائِلُ !
عَلَيْها دُخَانُ اليَأْسِ سَأْمانُ ، وَاجِمٌ ... لَأَقْسَمْتُ ماغَنَّيْتُ شِعْراً! وَإنما
كَظِيمُ الحَواشى. مُقْلَقُ الدَّرِّ ذَاهِـلُ ... حُشَاشَةُ رُوحى بالأسَى تَتَهَادَلُ!

***

قتامٌ عَلَى أَسْدَالِهِ يَمْرَحُ الأسى ... وَقَبْرُ المُنَى في ظِـلِّهِ يَتَخَايَلُ
وَلِلْخَيْبَةِ الـكُبْرَى عَلَى جَنَبَاتِهِ ... خَيَالٌ لِحظِّى في دُجَى النَّفْسِ مائِلُ
إذَا أنا سَرَّحْتُ الخَوَاطِرَ صَدَّها ... وَعادَ بِهَا لُجٌّ مِنَ اليَأْسِ غائِلُ
كأنِّي أَعْمَى يَخْبِطُ الـكَوْنَ هائماً ... عَلَى خَطْوِهِ سِنُّ العَصَا تَتَحَايَلُ
سَوَاءٌ لَدَيْهِ حِينَ يَظْمأُ لِلسَّنَا ... عَشَايَاهُ يُتْرِعْنَ الدُّجَى وَالأَصَائِلُ
كأنى لَحْنٌ طاشَ مِنْ كَفِّ عازِفٍ ... عَلَى وَتَرٍ جافَتْ هَوَاهُ الأَنامِلُ ؟ !
نزَلْتُ عَلَى الوَادِى وَنَفْسِى كَئِيبَةٌ ... وَنَايِىَ مَفْجُوعُ التَّرَانِيمِ ثاكِلُ
وَبِى أَمَلٌ أَنْ يَمْسَحَ الحُبُّ شَقْوَتِى ... وَيُوهِنَ مِنْ عِبْئِى الذى أَنَا حَامِلُ
فعُدْتُ وَبِى قَيْدَانِ: قَيْدُ صَبَابَتِى ... وَهَجْرِى وَقَيْدٌ أَحْكَمَتْهُ النَّوَازِلُ
كأنِّي سَجِينٌ سُدَّتِ الأَرْضُ حَوْلَهُ ... وَكَادَتْ بِسَاقَيْهِ تَنُوحُ السَّلاسِلُ
فلاَ الدَّهْرُ أَخْلانِى وَلاَ غادَةُ الهوى ... أَفاقَتْ لِأَشْجانِى، فما أَنا فاعِلُ ؟

***

يقُولونَ غَنِّ الشِّعْرَ أَبْيَضَ هادِئاً ... وَكَيْفَ تَغَنَّى فى الهجيرِ البَلابِلُ؟
فيَا غادَةَ الإلهامِ وَالشِّعْرِ! وَمْضَةً ... لَعَلَّ بِصَحْرَائى تَرِفُّ الخَمائِلُ
وَتَحْيَا الرُّبى وَالظِّلُّ وَالزَّهْرُ والشَّذَى ... وَتَيْنَعُ أَيَّامِى ، وَتَصْفُو المَنَاهِلُ
فَنَشْرَبُ مِنْ أَحْلامِنا خَمْرَةَ الهوَى ... وَيَجْرَعُ مِنْ سُمِّ الهَوَانِ العَوَاذِلُ ...
أَطِلِّى عَلَى دُنْيَاى ـ سِحْراً ـ وأَشْرِقى ! ... جَبِينُكِ ما أَمَّلْتُ فيها ، وَآمُلُ !
وَذَاتُكِ قُـدْسى وَانْتِعَاشى وَفَرْحَتى ... وَفَيْءٌ لِرُوحى ما وَعَتْهُ الظَّـلائِلُ
فَلاَ تَتْرُكى يأسِى يَلِجُّ فإنَّهُ ... ظَـلامٌ لِرُوحى المُسْتَهَامَةِ قاتِـلُ
وَأَخْشَى يُنادِينى الرَّدَى فأُجِيبُـهُ ... فَيَصْمُتُ طَيْرٌ بالهوَى العَفِّ زَاجِـلُ
وَتَخْرَسُ أَيَّامِى ... وَيَنْـدَرُ الذِى ... قَضَى العُمْرَ عَنْ يَوْمِ اللِّقَاءِ يُسائِلُ !